أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقرير تحليلي

ماذا قدمت حرب أوكرانيا للصين لتُعزِّز السعي نحو نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب؟

إعداد: بثينة محمد الزواهرة

أيلول / سبتمبر 2023

dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية — ©2023
info@dimensionscenter.net

جدول المحتويات

ملخّص: 04

تمهيد: 05

الصين في خضمّ الحرب الروسية الأوكرانية: 08

تعزيز مكانة الصين الدولية والسير باتجاه التعدُّدية القطبية: 11

العامل الاقتصادي كرافعة: 11

مبادرات ومفاهيم دولية جديدة كنواة لنَسَق دولي جديد: 11

الحرب الأوكرانية وتوجُّه روسيا نحو الحضن الصيني: 13

زيادة نفوذ الصين في الشرق الأوسط وإفريقيا: 15

خاتمة: 17

ملخّص:

تحاول الورقة تسليط الضوء على تأثير الحرب الأوكرانية على المساعي الصينية للتمدُّد دولياً وتنمية قوتها لتصبح قوة عظمى وقطباً عالمياً للوصول إلى عالم تعدُّديّ الأقطاب بشكل تدريجي وطويل الأمد. يشمل ذلك استعراض سياسة الصين تجاه روسيا وأوكرانيا، حيث تحاول الصين الاستفادة من الحرب من خلال تعزيز العلاقة التجارية مع روسيا، بما في ذلك زيادة الواردات النفطية الرخيصة منها بعد تعرُّض روسيا للعقوبات، مروراً بمحاولتها لعب دور الوسيط بين روسيا وأوكرانيا، كما تحاول الورقة تسليط الضوء على المرتكزات التي تسعى من خلالها الصين إلى تعزيز مكانتها الدولية وتحويل النَّسَق الدولي باتجاه عالم تعدُّدي الأقطاب، كما تعرج الورقة على محاولة الصين الاستفادة من الفراغ الذي خلفته روسيا في الشرق الأوسط وإفريقيا للتمدُّد في تلك المناطق وتعزيز نفوذها.

الكلمات المفتاحية:

الصين، روسيا، أوكرانيا، الحرب الروسية الأوكرانية، نظام عالمي متعدد الأقطاب، البريكس.

تمهيد

أن تتصارع دولتان إحداهما شريك إستراتيجي والأخرى شريك اقتصادي لك، فأنت بموقف لا تُحسَد عليه، هذا ما بدَا عليه الحال تجاه الصين عندما نشبت الحرب بين روسيا وأوكرانيا. فالأولى شريك إستراتيجي وصديق تجمع بينه وبين الصين علاقات اقتصادية ودبلوماسية قوية، على أن أحدث ما يؤكد عليه تصريح الرئيس الصيني شي جين بينغ لرئيس الوزراء الروسي ميخائيل ميشوستين في منتدى شنغهاي التجاري المنعقد بـ 4 تموز/ يوليو عام 2023 يؤكد فيه على أن الصين تدعم مصالح موسكو الأساسية[1]. والدولة الثانية شريك اقتصادي تجمع بينه وبين الصين علاقات جيدة وطيبة، حيث تُعتبر أوكرانيا بوابة الصين نحو أوروبا، وشريكاً مهماً في مبادرة الحزام والطريق، فهي جزء مهمّ من ممرّ النقل الأوراسي في المشروع[2].

وفي قمة شنغهاي الأخيرة المنعقدة في 4 تموز/ يوليو الماضي من العام الحالي2023، أكد الرئيس الصيني على أن الصين وروسيا "سيواصلان تقديم الدعم الثابت لبعضهما بشأن القضايا المرتبطة بمصالح كل منهما الأساسية وتعزيز التعاون في المحافل متعددة الأطراف"، حيث إن زيارة رئيس وزراء روسيا كانت الأعلى مستوًى من بين الزيارات التي أجراها مسؤولون روس للصين منذ بَدْء الحرب الروسية الأوكرانية. وتأكيداً على عمق العلاقات بين البلدين، أكد رئيس الوزراء الروسي عقب حفل الاستقبال الكبير الذي حظِيَ به خارج قاعة الشعب الكبرى في بكين، على أن العلاقات بين البلدين قد وصلت إلى مستوًى رفيع وغير مسبوق. فهي تتَّسم بالاحترام المتبادل والرغبة في الاستجابة بشكل مشترك للأزمات والتحدِّيَات المرتبطة بالاضطرابات المتزايدة على الساحة الدولية، بما في ذلك العقوبات غير الشرعية من الغرب[3].

هذه العلاقات القوية والآخِذة بالتنامي بين روسيا والصين تستند إلى أساس منطقي واقعي مبنيّ على المصالح المشتركة. ويرجع ذلك لكون روسيا أكبر شريك تجاري للصين في الفترة الأخيرة، إذ بلغ حجم التجارة بينهما ما يعادل 190 مليار دولار العام الماضي 2022 وفقًا للبيانات الصادرة عن دائرة الجمارك الصينية. وقد بلغ حجم التجارة الثنائية بين البلدين 70 مليار دولار حتى الآن لهذا العام 2023 بمعدل زيادة تجاوز 40% عن العام الماضي 2022[4].

(1) قمة منظمة شنغهاي للتعاون: بوتين يقول: إن العقوبات ستجعل روسيا أقوى. فيكاس باندي، بي بي سي نيوز، 4 تموز/ يوليو 2023، **الرابط**

(2) توقعات العلاقات الروسية الصينية في عالم "ما بعد الحرب الأوكرانية"، رائد جبر، الشرق، 21 آب/ أغسطس 2022، **الرابط**

(3) "لتعميق العلاقات": رئيس الوزراء الروسي يزور الصين ويدعو إلى زيادة التجارة بين البلدين، يورونيوز، 23 أيار/ مايو 2023، **الرابط**

(4) روسيا والصين "حلف يحرّك الجبال".. والاتحاد الأوروبي يقدم 220 ألف قذيفة مدفعية لكييف، يورونيوز، 24 أيار/ مايو 2023، **الرابط**

تـأتي هـذه التطـوُّرات بعـد توقيـع الطرفـين الصينـي والـروسي في شـهر شـباط/ فبراير 2022 عـلى شراكـة إسـتراتيجية واسـعة النطـاق تسـتند في جوهرهـا إلى هـدف كبـير يجمع الدولتـين، وهـو التصـدي للنفـوذ الأمريـكي. ففـي حـين أن الصـين لا تتفـق في الـرؤى تمامـاً مـع روسـيا، إلا أنهـا تدعمهـا ضمنيـاً مـن منطلـق الخصومـة والعـداء مـع الغـرب. فمـن المنظـور الصينـي، أي خُطـوة تُضعِـف الغـرب ستشـكّل عامـلاً إيجابيـاً لصالـح الصـين. لكن اللافت في الأمـر أن بكـين التزمـت الحيـاد في هـذه الحـرب، ولم تقـف إلى جانـب روسـيا عندما أقـرت الأمـم المتحـدة قـراراً يُديـن الغـزو الـروسي لأوكرانيـا. وعـلى الرغـم مـن أن الصين ترفـض إدانـة روسـيا عـلى خلفيـة شـنها الحـرب عـلى أوكرانيـا، إلا أنهـا دعـت إلى وقف التصعيـد بـين الطرفين والتزام الهدوء وضبط النفس[5].

رغـم أن الصـين ليسـت طرفـاً في الحـرب الروسـية الأوكرانيـة، إلا أن مجريـات هـذه الحرب ونتائجها تُشـكّل عامـل قَلَـق للصينيـين. السـبب في هـذا القَلَـق الصينـي هـو أن انعكاسـات هـذه الحـرب وتداعياتهـا سـوف تؤثـر عـلى مسـار الصعـود الصينـي المتنامـي، حيـث تعـمل الصـين جاهـدة لصنـع نظـام عالمـي جديـد متعـدِّد الأقطـاب تكـون فيـه الصـين قطباً أساسـياً وفاعـلاً عـلى السـاحة الدوليـة. مـن هنـا تـأتي الجهـود الصينيـة للسـعي للوسـاطة بـين طرفَيـ النزاع عـلى افـتراض أنهـا طـرف نزيـه وغـير منحـاز، قـد أثبـت قـدرته على التوسـط في أشـدّ العلاقـات احتقانـاً، وهـي الحالـة السـعودية الإيرانيـة، حيـث نجـح في إيجاد صيغـة توافُـق بين طرفـين كانا لوقت قريب جداً من ألدّ الأعداء[6].

يوضـح الرسـم البيـاني التـالي في الشـكل رقم (1) حركـة نمـو التبـادل التجـاري بـين روسيا والصـين منـذ عـام 2015 وحتـى عـام 2022 مـا بعـد انـدلاع الحـرب الروسـية الأوكـرانية وخضـوع روسـيا للعقوبـات، كـما يوضـح الشـكل رقـم (2) وجهـات الصـادرات الروسـية حتـى نوفمـبر مـن عام 2022، والذي يُظهِـر حجم الصادرات الكبير الموجَّه للصين[7].

(5) موقف الصين الحيادي تجاه حليفتها روسيا في الأمم المتحدة.. تساؤُلات وإجابات، الحرة، 3 آذار/ مارس 2023، **الرابط**

(6) الموقف الصيني من الحرب الروسية الأوكرانية: خلفياته وحسابات، عبد القادر دندن، مركز الجزيرة للدراسات، 3 أغسطس/ آب 2023، **الرابط**

(7) روسيا وأوكرانيا: هل تدعم الصين موسكو خلال الحرب؟ بي بي سي، 21 شباط/ فبراير 2023، **الرابط**

شكل رقم (1): نمو التبادُل التجاري بين الصين وروسيا. المصدر: بي بي سي.

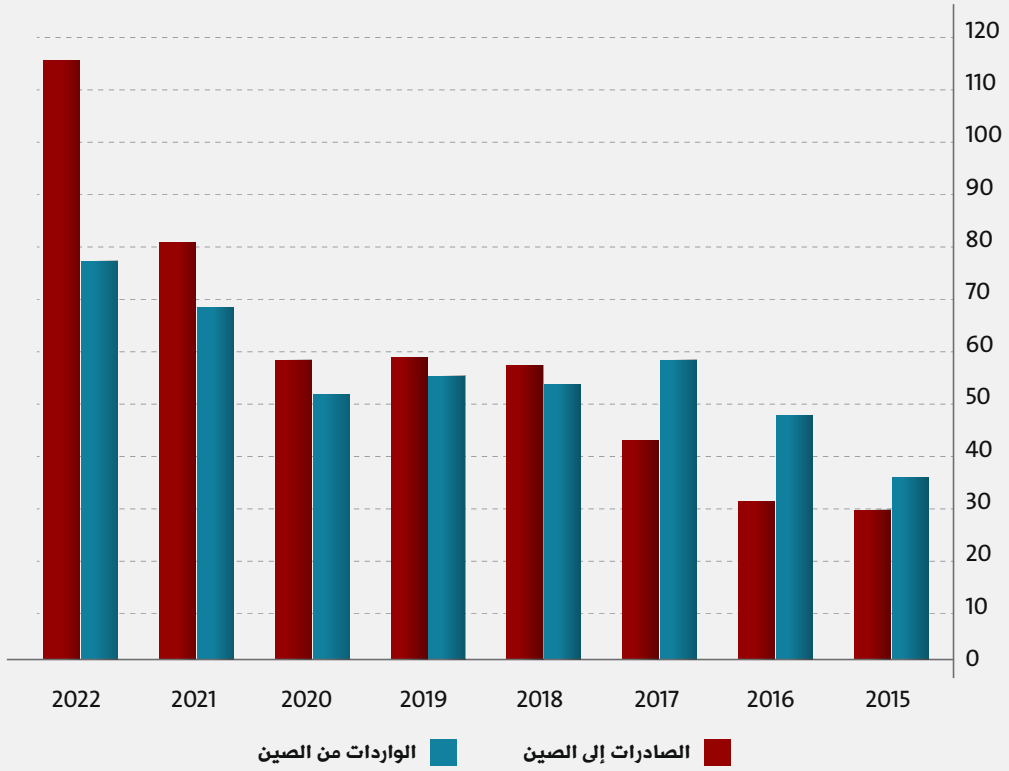

شكل رقم (2): أكبر مستوردي المنتجات الروسية. المصدر: بي بي سي.

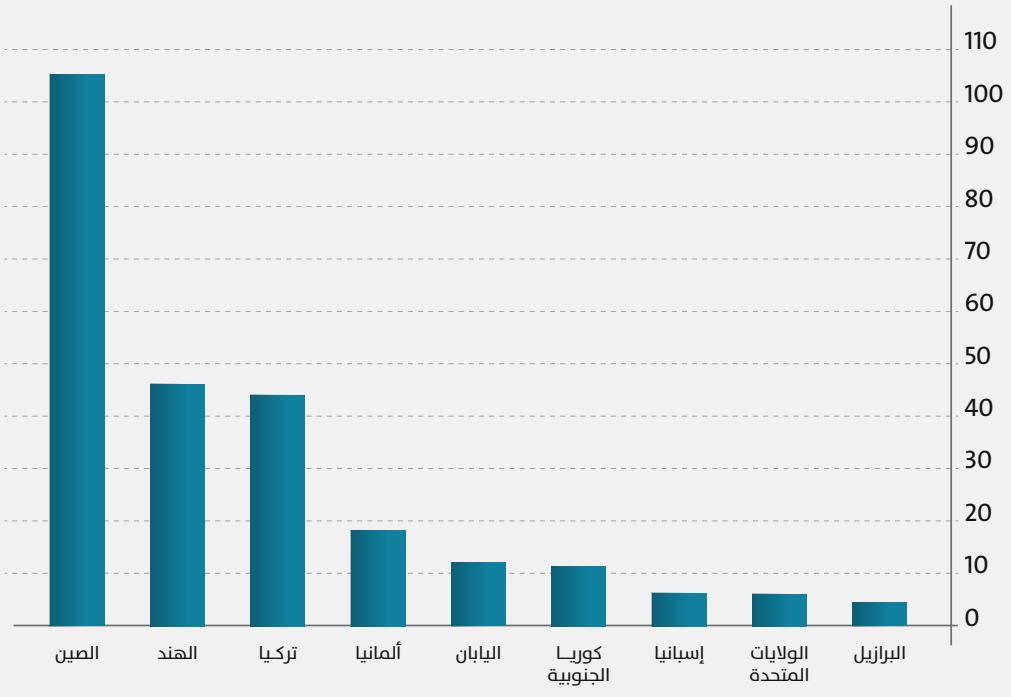

أولاً: الصين في خضمّ الحرب الروسية الأوكرانية

تمسك الصين العصا من المنتصف فيما يخصّ الحرب الروسية الأوكرانية، إذ تُوصَف بأنها تسير على خطّ دقيق ورفيع جداً في التعاطي مع المسألة، وهي الإستراتيجية التي تبرع فيها الصين، حيث إنها عُرفت بالدولة التي تحاول إرضاء الجميع، وتسعى للوصول إلى توافُق مع كافة الأطراف على قاعدة من التوازُن الدقيق الذي يصعب على دولة غير الصين تحقيقه. بالإضافة إلى حرص الصين على منع تفاقُم الخصومة والخلاف مع أمريكا والغرب، التي تقف بشكل صريح مع أوكرانيا ضدّ روسيا. هذا بالإضافة إلى رغبة الصين في إظهار نفسها على أنها طرف مسؤول قادر على تحمُّل المسؤولية وحلّ الأزمات على الساحة الدولية، مما يؤهلها لتولي مكانة قيادية في نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب يتشكّل حالياً، ومحاولة تأمين بيئة مناسبة مبنية على السلام الذي تروّج له في سياستها الخارجية، والذي بدوره يساهم في تواصُل صعودها ونموُّها السلمي، لا سيما الاقتصادي منه[8].

تترافق الجهود الصينية مع ضغوطات أمريكية كانت على الدوام سبباً للتقارُب بين الصين وروسيا. وظلت العلاقات قوية ومتماسكة رغم العقوبات الأمريكية واضطرار بعض الشركات الصينية إلى التوقف عن العمل مع الطرف الروسي خوفاً من أن تطالها العقوبات الأمريكية. وفي المقلب الآخر من المعادلة، لا ترغب الصين في إضعاف روسيا بشكل كبير؛ لأن ذلك لا يصبّ في المصلحة الصينية. حيث إن ضعف روسيا سيسهل فرض العزلة الغربية على الصين، مما قد يُضعِف موقفها في قضية تايوان، وهو الأمر الذي لا يمكن للصين أن تتساهل فيه. لذا فإن من مصلحة الصين أن تمتلك روسيا قوة تدور في فَلَك القوة الصينية دون أن تنافسها أو تتفوق عليها، فتبقى اليد العليا دائماً للصين.

إن التعاون الإستراتيجي بين كل من الصين وروسيا يؤسّس لتحالُف عسكري مستقبليّ بينهما، لا سيما أنهما محاصرتان من الطرف الأمريكي.

(8) الموقف الصيني من الحرب الروسية الأوكرانية: خلفياته وحسابات، عبد القادر دندن، مركز الجزيرة للدراسات، 3 أغسطس/ آب 2023 **الرابط**

هذا الحصار الأمريكي يمكن اعتباره قصوراً إستراتيجياً من الطرف الأمريكي يدفع كلاً من الصين وروسيا إلى السعي الحثيث نحو خلق نظام عالمي جديد تتحرَّران فيه من سطوة الهيمنة الأمريكية. إن أمريكا تدفع نحو تشكيل عالم جديد بإصرارها على الهيمنة والتضييق على الدول المنافسة التي وضعت عَبْر سنوات سابقة الأُسُس اللازمة لخلق نظام عالمي جديد. ولم تتوانَ دول أخرى عديدة من السير على الخُطى الصينية الروسية والتكتل معها بهدف خلق عالم متعدِّد الأقطاب.

في هذا الإطار، عرض الرئيس الصيني الوساطة بين الطرفين الروسي والأوكراني، وقامت الخارجية الصينية في شباط/ فبراير من العام الحالي 2023 بوضع 12 نقطة تم طرحها بين الطرفين للتفاوض حولها. وفي حين جرت مناقشتها خلال قمة موسكو بين الرئيسين الصيني والروسي، كانت روسيا قد رحّبت بهذه الوساطة الصينية، في الوقت الذي لم تتحمّس أوكرانيا لها. وترافق الموقف الأوكراني مع رفض أمريكي للمبادرة وانتقادات من بعض دول الاتحاد الأوروبي للكثير من نقاطها. وفي مؤتمر الخبراء حول حالة الاتحاد الأوروبي الذي عُقد في فلورنسا بتاريخ 12 أيار/ مايو من العام الحالي 2023، أعلن مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل "أنه ليس هناك إلا خطة سلام واحدة لأوكرانيا. إنها خطة زيلينسكي. أما الخطة الصينية فهي مجرد مجموعة من التمنيات الطيبة، ولا يمكن أخذها على محمل الجد"[9]. جاء ذلك بعد إعلان زيلينسكي بأن "المقترحات الصينية ليست أكثر من بيان للأفكار". وعلى الجانب الآخر، ترفض روسيا خطة زيلينسكي التي تم طرحها في قمة مجموعة العشرين في كانون الأول/ ديسمبر 2022، والتي تنص على الانسحاب الروسي من الأراضي الأوكرانية التي تم ضمها لروسيا بفعل الحرب، بالإضافة إلى استعادة شِبه جزيرة القرم وغيرها من الشروط التي ترفضها روسيا، وتؤكد على إثرها ضرورة قبول أوكرانيا بالوضع الراهن، وبأن تتخلى أوكرانيا عن حلمها في الانضمام إلى حلف الناتو، وأن تكون دولة محايدة، وأن يتم تعديل الدستور بحيث يتضمن عدم نشر أسلحة ذات طابع إستراتيجي في أوكرانيا. هذا بالإضافة إلى إبقاء روسيا للمناطق التي سيطرت عليها. ومن المفيد التنويه بموقف مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل عندما قال: "إن النزاع الأوكراني، أعاد توحيد التحالف عَبْر الأطلسي"، فضلاً عن تأكيده على ضرورة "التحلي بالواقعية والعمل من أجل المزيد من دعم جهود أوكرانيا العسكرية"[10].

(9) الصين تبدأ مشاورات وساطة أوكرانية – روسية بالغة الصعوبة، سامي عمارة، إندبندنت عربية، 16 أيار/ مايو 2023، **الرابط**

(10) الصين تبدأ مشاورات وساطة أوكرانية – روسية بالغة الصعوبة، سامي عمارة، إندبندنت عربية، 16 أيار/ مايو 2023، **الرابط**

بالنسبة للصين من الضرورة بمكان التأكيد على أهمية نجاح الوساطة بقيادة الصين لعملية التفاوض، وأن نجاح وساطة كهذه برعاية صينية سيعزز مكانة الصين والرئيس شي جين بينغ كصانع للسلام، وهو ما تحاول أمريكا إفشاله بشتى الوسائل. فقد ادَّعت أن الصين ليست وسيطاً محايداً وأنها تميل نحو الطرف الروسي، وسعت هي وبعض الدول الأوروبية إلى رفض المبادرة الصينية. ويرى بعض المراقبين أن الرفض الغربي أتى للضغط على الصين كي تضع شروطاً إضافية للضغط على موسكو[11].

(11) الصين-روسيا: من التنافس الإقليمي إلى تعزيز العلاقات بعد اندلاع الحرب في أوكرانيا؟، أمين زرواطي، فرانس 24، 21 آذار/ مارس 2023، **الرابط**

ثانياً: تعزيز مكانة الصين الدولية والسير باتجاه التعدّدية القطبية:

1. العامل الاقتصادي كرافعة:

إن مساهمة الصين الهائلة في النمو العالمي على مدى العشرين عامًا الماضية، ساهمت في ترسيخ الرواية القائلة بأن المستقبل الاقتصادي لأي بلد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصين. ذلك أن الصين قد استحوذت على حوالَيْ 40٪ من إجمالي حجم النمو العالمي.

في هذا الإطار، شكّل انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية عام 2001 نقطة فاصلة من حيث أداء الصادرات الصينية. حيث تمكنت الصين من استخدام النظام التجاري لتحقيق إنجازات عظيمة على صعيد النمو الاقتصادي[12].

2. مبادرات ومفاهيم دولية جديدة كنواة لنَسَق دولي جديد

أوجدت الصين مفهوماً حديثاً على الساحة الدولية وهو مفهوم "المصير المشترك". هذا المفهوم يساعد على ظهور الصين كقوة داعمة للتعددية ودافعة نحو العولمة من خلال استحداث مفاهيم جديدة في حقل العلاقات الدولية مثل مفهوم "دبلوماسية التنمية"، و"دبلوماسية التعاطف"، حيث قامت بتحويلها إلى إطار مؤسساتي من خلال إنشاء رابطة المصير المشترك، والهدف هو نشر هذا الفكر بشكل مؤسساتي في كافة أنحاء العالم. وقد قامت الصين بالتوجه إلى الأمم المتحدة لاستصدار قرار أممي يقرّ بأهمية أن يلتفّ العالم والجماعات الدولية المكونة له حول الالتزام بتحقيق المصير الإنساني المشترك. وقد نجحت بالفعل في استصدار قرار من الأمم المتحدة بهذا الخصوص. أما المبادرة الصينية الأهم والتي تهدف إلى تعزيز هذه الأجندة فهي مبادرة الحزام والطريق. حيث ترافق معها إنشاء مؤسسات مالية موازية مثل بنك آسيا للاستثمار في البِنْية التحتية، وتوسيع المنظمات متعددة الأطراف التي تقودها الصين مثل منظمة شنغهاي للتعاون[13].

(12) China and the rise of a multipolar economic order: What lies ahead?, Stewart Paterson, Hinrich Foundation, September 27, 2022, **Link**

(13) مفهوم المصير المشترك والعلاقات العربية الصينية: بين مبادرة الحزام والطريق وجائحة الكورونا، هبة جمال، مجلة السياسة والاقتصاد، **الرابط**

وبالرجوع قليلاً لسـنوات خلت، جاء طرح الرئيس الصيني شي جين بينغ لمصطلح "نوع جديد من علاقـات القـوى العظمى" في شـباط/ فبراير من عام 2012 ليصبّ في خانة سَـعْي الصين لخلق نظام عالمي جديد متعدِّد الأقطاب. حيث يهدف ذلك إلى جعل واشنطن تقبل بوجود قُوى عظمى أخرى على الساحة الدولية[14].

إن الإستراتيجية متعددة الاتجاهات والأوجُه التي تتبعها الصين في سياستها من حيث استخدام أدوات مختلفة، تعمل بشكل منسَّق ومتوافق فيما بينها بحيث تحقق مجتمعة الهدف منها، وهو تشـكيل عـالم أكثر ملاءَمة للمصالح والتطلُّعات الصينية. ففي شـباط/ فـبراير 2023، أصدرت وزارة الخارجيـة الصينية ورقتهـا المفاهيمية لـ "مبادرة الأمن العـالمي" The Global Security Initiative (GSI) بناءً على اقتراح من الرئيس الصيني شي جين بينغ في إبريل الماضي من هذا العـام والـذي يحدد فيه الحلّ المقترَح من قِبل الصين للتحدِّيَات الأمنية الدولية. وعلى الرغم من أن هذه المبادرة لا تزال غامضة إلى حدّ ما، إلا أن الأجندة الأمنية الصينية الجديدة التي يطرحها الرئيس الصيني شي جين بينغ والحزب الشيوعي الصيني تختلف اختلافاً كبيراً عن أجندة القُوى الغربية في مبادئها وممارساتها[15].

وفي هـذا الإطار، عندما نجحت الوسـاطة الصينية في إعادة العلاقات والتفاهم بين السـعودية وإيـران، رأت الصـين هذه العملية بمثابة ترجمة لانتصار الـ GSI، مما اعتُبر محاولة من الصين لإضفـاء الشرعيـة من ناحية عملية على الإطار الأمني المقترَح من قِبلها. كما جاء اقتراح الصين بتنفيذ "هيكل أمني جديد في الشرق الأوسـط"، والذي يظهر بشـكل بارز في ورقة مبادرة الأمن العالمي GSI، جاء مسـتنداً على دعم الصين التاريخي لحقوق الشـعب الفلسـطيني، ولرغبتها في التوسط لتسوية النزاع الإسرائيلي الفلسطيني؛ وقد تترجم أيضاً في دورها البارز في المفاوضات حول المشروع النووي الإيراني[16].

إن مبادرة التنمية العالمية في الصين، التي تم تقديمها في نفس الوقت تقريباً مع مبادرة الأمن العالمي GSI، والتي تم توثيقها في البيانات الرسمية الصينية، قد تم الترويج لها في المنتديات متعـدِّدة الأطـراف. تبعتهـا مبادرة الحضارات العالميـة التي أعلن عنهـا الرئيس شي جين بينغ مؤخراً، والتي حذت حَذْو مبادرة التنمية العالمية.

(14) شي جين بينغ: يقود "حلم الصين" في مقابل أحادية الولايات المتحدة، الميادين، 15 تشرين أول/ أكتوبر 2022، **الرابط**

(15) China ramps up its efforts to shape a multipolar world, Dale Aluf, The China Project, March 31, 2023, **Link**

(16) تنفيذًا لمبادرة الأمن العالمي إقامة إطار أمني جديد في الشرق الأوسط، منتدى التعاون الصيني العربي، 22 أيلول/ سبتمبر 2022، **الرابط**

من جانب آخر، تُعلّق الصين آمالاً على منظمة شنغهاي للتعاون أيضًا كإحدى المنظمات متعدِّدة الأطـراف التابعة لهـا والتي تعمل لتحقيق الرؤية الصينية، حيث نـشرت صحيفة الصين اليوم "China Daily" في أحـد أعدادهـا مقـالاً بعنوان: "يمكن لمنظمة شـنغهاي للتعاون أن تساعد الصين في بناء عالم متعدِّد الأقطاب". ومن الجدير بالذكر أن هذه الصحيفة تسيطر عليها الدولة، وهي ناطقة باسمها[17].

لهذه الغاية حرصت الصين على توسـيع المنظمة. حيث قامت بضم إيران في المنظمة في قمة دوشانبي 2022 لتصبح العضو التاسع، بالإضافة إلى قبول دول أخرى كشركاء في الحوار هي مصر وقطر والسـعودية. هذا شجَّع دولاً أخرى لتُقدِّم طلباً للتعاون والانضمام كشركاء في الحوار، وتلك الدول هي الإمارات والكويت والبحرين، وجزر المالديف وميانمار[18]. كما أشـارت الصين في نفس العام إلى أنها ترغب بتوسيع مجموعة بريكس التي تضم كلاً من الصين وروسيا والهند والبرازيل وجنـوب إفريقيـا، والتي تهدف إلى تعزيز السـلام والأمن والتنمية والتعاون وإنشـاء عالم أكثر إنصافاً. وبالفعل تم إدخال كل من السـعودية ومصر وإيـران وإثيوبيا والإمارات والأرجنتين في الاجتـماع الأخـير لدول البريكس الذي انعقـد في الثاني والعشرين من أغسـطس/ آب من العام الحـالي 2023 في جوهانسـبيرغ. والمقصـود مـن ذلك هو السـير قُدُماً نحو تشـكيل عالم متعدِّد الأقطاب[19].

3. الحرب الأوكرانية وتوجُّه روسيا نحو الحضن الصيني:

وتأكيداً على أهمية الحرب الروسية الأوكرانية في تهيئة الظروف للانتقال إلى نظام عالمي جديد متعـدِّد الأقطاب، والذي يسـتند إلى رهان على الطرف الصيني، ظهـر تصريح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حول انتهاء حقبة الهيمنة الأمريكية وبناء نظام متعدِّد الأقطاب، تقوده آليات جديـدة تضمن الأمن الدولي. فقد كان بناء عالم جديد متعـدِّد الأقطاب، والتخلص من الهيمنة الأمريكية الأحادية، ومبدأ احترام سيادة الدول مع التأكيد على عدم التدخُّل في شؤونها الداخلية، كل ذلك شـكّل منطلقات للشراكـة الصينية الروسـية على نطاق دولي في السـنوات الأخيرة الماضية.

(17) China ramps up its efforts to shape a multipolar world, Dale Aluf, The China Project, March 31, 2023, **Link**

(18) China ramps up its efforts to shape a multipolar world, Dale Aluf, The China Project, March 31, 2023, **Link**

(19) بينها مصر والسعودية والإمارات... ست دول تلتحق بمجموعة بريكس اعتبارًا من يناير 2024، فرانس 24، 24 آب/ أغسطس 2023، **الرابط**

لقد جاءت إستراتيجية التوجُّه شرقاً التي اعتمدتها روسيا كردّ على القيود الغربية التي سعت إلى عزل موسكو وحصارها بمثابة طَوْق النجاة الذي تلقّفته الصين واستغلته خير استغلال. حيث زادت من مستوى تجارتها مع روسيا -لا سيما النفط والغاز- بالشكل الذي يخدم المصالح الصينية ويقويها. هذا قابله تحدِّيات وقعت بكين أسيرة لها. حيث لم ترغب بأن تطول الأزمة لاعتبارات كثيرة، منها عدم الحاجة لأخذ موقف مع طرف ضد آخر، مما يقلل من تَبِعات الأمر على علاقاتها مع أمريكا المتوترة أساساً. فظنت الصين أن الحرب ستكون خاطفة وتحقق المرجوّ منها بسرعة قياسية. إلا أن الأحداث لم تَسِر وَفْق تلك التوقُّعات[20].

لقد كانت طبيعة العلاقة بين روسيا والصين المبنية على شراكة إستراتيجية عوضاً عن التحالف هي العلاقة المُثْلَى التي ساهمت في الحفاظ على العلاقات مستقرةً بين البلدين خلال الحرب، بالإضافة إلى استمرار التعاون بينهما دون أن يُلزِم أحدهما الآخر بإدخال أي تعديلات على السياسات التي يتَّبعها تجاه الآخر. في هذا الإطار، قام رجالُ الأعمال الصينيون بسدّ الفجوة التي أحدثتها العقوبات في السوق الروسية، والتي أدت إلى انسحاب الشركات الأجنبية. رغم ذلك كانت لدى روسيا الخشية من أن تتحول من التبعية للغرب إلى التبعية للصين في الجانب الاقتصادي والاستثماري، الأمر الذي ترفضه روسيا. لذا قامت بوضع قيود في جانب الاستثمار، وركزت الأولوية على توظيف الخبراء المحليين، كما ركزت على توطين الإنتاج، الأمر الذي حافظ على خصوصية السوق الروسي ولم يؤثر على قوة العلاقات والشراكة الإستراتيجية الصينية الروسية[21].

(20) العقوبات الغربية على روسيا... الأبعاد الإستراتيجية ودلالات الفشل، مجدي عبد الهادي، العربي الجديد، 2 حزيران/ يونيو 2023، **الرابط**

(21) توقعات العلاقة الروسية الصينية في عالم "ما بعد الحرب الأوكرانية"، رائد جبر، الشرق، 21 آب/ أغسطس 2022، **الرابط**

ثالثاً: زيادة نفوذ الصين في الشرق الأوسط وإفريقيا:

إن انخراط الصين في الشرق الأوسط وإفريقيا يمثل عنصراً حاسماً في سياستها الخارجية. سمحت الحرب الروسية الأوكرانية للصين بإقامة علاقات أقوى في هذه المناطق، من خلال الشراكات الاقتصادية ومشاريع البِنْية التحتية في المقام الأول. لقد جاء توسُّع الصين الاقتصادي في الشرق الأوسط وإفريقيا مدفوعاً بسعيها وراء الموارد والأسواق والتأثير الجيوسياسي. وتستثمر الصين بكثافة في تشييد مشاريع البِنْية التحتية، مثل الموانئ والسكك الحديدية ومنشآت الطاقة، مما يوفر رأس مال إنمائي تشتدّ الحاجة إليه للبلدان المتأثرة بالصراع. ومن خلال تقديم الدعم المالي والخبرة التكنولوجية، تمكنت الصين من تأمين الوصول إلى الموارد الإستراتيجية، بما في ذلك النفط والغاز والمعادن، لاقتصادها المتنامي[22].

لقد جاء توسيع التعاون العسكري للصين مع دول في الشرق الأوسط وإفريقيا جانباً رئيسياً آخر في إستراتيجيتها. من خلال تقديم المساعدة العسكرية والتدريب والمعدات، سعت الصين إلى تعزيز علاقاتها الأمنية في المنطقة. وقد خلق الصراع الروسي الأوكراني بيئة تبحث فيها البلدان المتضررة من الأزمة عن شركاء آخرين لضمان أمنها. في هذه الظروف، انتهزت الصين الفرصة لتوسيع نشاطها الدبلوماسي في الوساطة بين الدول لحل النزاعات العالقة، كما انتهزت الفرصة لتعزيز اتفاقيات التعاون العسكري، وإجراء تدريبات مشتركة، وإنشاء قواعد عسكرية، لإبراز قوتها ونفوذها في المنطقة بشكل فعّال. أما من حيث الوساطة بين الدول، تبنّت الصين إستراتيجية "من أعلى إلى أسفل" على عكس غيرها من الدول التي تتبنّى إستراتيجية "من أسفل إلى أعلى". حيث انخرطت في اجتماعات رفيعة المستوى بين كبار المسؤولين ورجال الدولة في وزارة الخارجية والأطراف المستهدفة، وانخرطت في مؤتمرات السلام رفيعة المستوى. هذا بجانب الدبلوماسية المكوكية، ومحاولات وضع حلّ النزاعات داخل المؤسسات المتعددة الأطراف، كل تلك المحاولات مثّلت رموزاً لهذا النهج الصيني[23].

(22) واشنطن وصداع الصين في منطقة الشرق الأوسط، سهام معط الله، العربي الجديد، 31 آذار/ مارس 2023، **الرابط**

(23) China ramps up its efforts to shape a multipolar world, Dale Aluf, The China Project, March 31, 2023, **Link**

تحاول الصين تسويق سياستها على أنها سياسة توافُقية تتعارض مع السياسة الأمريكية التصادُمية والتي تقوم على أساس "الفوضى الخلّاقة". حيث تعتمد الصين على النمو الاقتصادي والتعاون وتطوير البنى التحتية اللازمة للازدهار بالتعاون مع الأنظمة وسلطات الأمر الواقع دون تدخُّل في الشؤون الداخلية وملفات حقوق الإنسان والديمقراطية، والتي تُعتبر أدوات غربية وأمريكية بالدرجة الأولى.

يحتاج النمو الاقتصادي الذي تعتمد عليه الصين بدوره أمناً وسلاماً واستقراراً وإيقافاً للحروب والنزاعات في العالم. لن تكون مهمة الصين سهلة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في هذا الجانب بسبب المنحى العميق الذي تشكّلت عليه بعض النزاعات، لكن الإنهاك الذي وصلت إليه دول المنطقة أوجد لديها دافعاً للسعي لإنجاح المبادرات الصينية، حيث تتوق دول المنطقة إلى إعادة بناء اقتصاداتها وحلّ أزماتها التي تعيق عملية التنمية فيها. من هنا جاء سعي الصين لضمّ دول جديدة إلى مجموعة البريكس في 22 من شهر آب/ أغسطس الحالي 2023، من بينها دول عربية، كالسعودية وإيران، ومصر وإثيوبيا، والآن تجتمع في إطار منظمة تعاوُن اقتصادية قادرة على خلق بيئة توافُقية تتقارب فيها الاختلافات في سبيل هدف أكبر وهو التعاون من أجل التنمية، الذي بدوره سيكون دافعاً لتسهيل حلّ الأزمات العالقة بين تلك الدول[24].

(24) في الشراكة الإستراتيجية بين الصين وروسيا، عمار ديوب، العربي الجديد، 26 آذار/ مارس 2023، **الرابط**

خـاتمـة

تتلخص إستراتيجية الصين بكونها تتمحور حول فتح الأبواب للتعاون مع الدول والأطراف التي تُبدي قبولاً تجاه الصين، مع الإبقاء على الحَذَر تجاه الدول التي تُظهِر العداء لها.

لقد عزَّز الصراع الروسي الأوكراني موقع الصين في النظام الدولي، وأَرْسَى مكانة متقدِّمة لها في السعي لتشكيل نظام عالمي جديد متعدِّد الأقطاب. كما ساهم في توسيع نفوذها في الشرق الأوسط وإفريقيا من حيث تهيئة الظروف للقيام بدور رئيسي في الاتفاق السعودي الإيراني. ومن خلال سياسة خارجية صينية مدروسة بعناية من حيث المزج بين المشاركات الاقتصادية ومبادرات السياسة الخارجية والمناورات الدبلوماسية، استفادت الصين من التحوُّلات الجيوسياسية الناتجة عن الصراع لتصبّ النتائج في مصلحتها، تَرافَق ذلك مع الاستمرار في السعي نحو الحفاظ على الاستقرار في المناطق، والذي بدوره يحقق مصلحة كبرى للصين لاستمرار توسُّعها الاقتصادي والذي يُعزِّز نفوذها عالمياً.

إن النفوذ المتنامي للصين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عزز القدرة على إعادة تشكيل ديناميكيات القوة العالمية، مما يصبّ بشكل إيجابي في تشكيل نظام عالمي جديد. ومن خلال الاستفادة من مشاركتها الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، تستطيع الصين تحدي النظام أحاديّ القطب القائم، والذي يهيمن عليه الغرب، وتقديم نماذج بديلة للتنمية والحكم. فقد نمت بصمة الصين في التجارة، وخاصةً في مجالات التكنولوجيا بشكل كبير في الدول المختلفة، مما سمح لبكين بتحويل مُراكَمتها التدريجية للقوة الناعمة إلى انقلاب دبلوماسي غير مسبوق، مع ذلك هنالك الكثير من التحدِّيَات التي تقف أمام الصين في سعيها هذا، منها تباطُؤ نموها السكاني والاقتصادي، والمناورات الأمريكية المضادة، ومنها الممرّ الهندي الأوروبي الذي تم الإعلان عن إمكانية تنفيذه مؤخراً.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net